ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

# Transformations in the Structure and Vision in Arabic Poetry: Hassan bin Thabet as an Example

**Srwa Abdul Majeed Mahmood**
**Assistant Professor**

College of Education _ Arabic Department

**Aso Subhi Gahazai**

Garmian Unevesity

* *Corresponding author: E-mail* :
Srwa.majeed@garmian.edu.krd
07735341336

***Keywords***:
Transformation in Structure
Hassan bin Thabit
Impact of Belief in Poetry

**A R T I C L E  I N F O**

***Article history:***
Received 16 January. 2021
Accepted 22 January 2021
Available online 22 Dec 2021
*E-mail*
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

**A B S T R A C T**

The change that had been taken place in the Arab society after coming Islam was not just a change in belief and behavior. Rather, it transcended into an intellectual and cultural change, which in turn was reflected in Arabic literature in poetry and prose. The poet who acquired his poetry in the pre-Islamic era and who was looking for pride and emptiness, began looking for the satisfactory of Allah and defending religion only, and what we noticed in Hassan bin Thabit's poetry is a shift in structure and vision. According to Hassan bin Thabit, these introductions are neglected in many of his poems. As for the subjective vision of pre-Islamic poets that was based on individualism, it turns into a collective vision for Hassan, so the exaggeration of pride, spinning, satire, and praise turns into collective tendencies that express the spirit of the group and the defense of principles and values, especially when Hassan bin Thabet.

© 2021 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.28.12.1.2021.08

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

## التحولات في البنية والرؤية في الشعر العربي: حسان بن ثابت مثالا

سروة عبد المجيد محمود

آسـو صبحـي غزائـي

**الخلاصة:**

إنّ التغيير الذي حصل في المجتمع العربي بعد مجيء الإسلام لم يكن تغييرا في العقيدة والسلوك فحسب؛ بل تجاوز ذلك إلى التغيير الفكري والثقافي الذي انعكس بدوره على الأدب العربي شعرا ونثرا. فالشاعر المتكسب بشعره في الجاهلية والذي كان يبحث عن الفخر والخيلاء، صار يبحث عن مرضاة الله والدفاع عن الدين فحسب، ومما لاحظنا على شعر حسان بن ثابت تحولا في البنية والرؤية، فبناء القصيدة الجاهلية، المعتمدة على الوقوف على الأطلال ووصف الناقة والفرس والرحلة إلى المحبوب والممدوح، تتغيير عند حسان بن ثابت وتهمل تلك المقدمات في الكثير من قصائده، أمّا الرؤية الذاتية عند الشعراء الجاهليين التي كانت مبنية على النزعة الفردية تتحول عند حسان إلى رؤية جمعية، فالمبالغة في الفخر والغزل، والهجاء، والمديح، تتحول إلى نزعات جماعية تعبر عن روح الجماعة والدفاع عن المبادئ والقيم

ولاسيما عند حسان بن ثابت.

**المقدمة:**

لكل عصر سمة خاصة ورؤية محددة تتصل بالثقافة المجتمعية والعقل الجمعي لها، هذا ما أثارنا وحركة القريحة للبحث عن تلك التحولات الثقافية والفكرية عند شاعرٍ عاش في عصرين مختلفين تماما، من النواحي العقائدية والفكرية فالثقافية، فانعكست على شعره. حسان بن ثابت شاعر مخضرم عاش في الجاهلية مدافعا عن قيمها المبنية على الاستعلاء والفخر وازدراء الآخرين، والسعي إلى الهيمنة على الناس ولو بالظلم الذي كان يعد من مصادر القوة، فمن لايظلم الناس يُظلم، فضلا عن أنّ الكلام بحد ذاته كان مطلقا عن القيود فهو مقبول مادام في دائرة الذوق العربي الجاهلي فلاحرمة للأعراض ولا حصانة للمريء إذما جعله الشاعر هدفا له،[1] ثم ينتقل الشاعر إلى رحاب دينٍ لاينتصر للقبيلة بل للعقيدة، ولا لزعيم إلا بالحق والعدل، ويحرم اللفظ الفاحش والكلام المبتذل والغزل الماجن والكذب الخالص، مما يجعل الشعراء ومنهم حسّان بن ثابت في صراع بين تلك القيم وما يمليه عليه فن الشعر من حب المبالغة والانطلاق نحو فضاءات لا نهاية لها، ولاشك أنه ليس من السهل تحديد تلك التحولات فالقضية مبنية على فهم النصّ وربطه بالعلاقات والسياقات الثقافية خارجه، مما يتطلب التأمل وسبر الأغوار فضلا عن قلة المصادر التي تناولت هذه القضية، وقد اقتضى منهج البحث أن نقسمه على ثلاثة مباحث فكانت كالآتي:

المبحث الأول: خصوصية شعر حسّان في الإسلام

المبحث الثاني: موضوعات شعره في الإسلام

المبحث الثالث: رأي النقاد والمستشرقين في شعره الإسلامي

ثم جاءت الخاتمة ومسرد للمراجع والمصادر.

**المبحث الأول: خصوصية شعر حسّان في الإسلام**

يتفق الباحثون على أن شعر حسّان بن ثابت تغير بعد الإسلام، بل أخذ منحى جديدا، فالإسلام بظهوره وبزوغه لم يكن مجرد انتقال جامد من عقيدة لأخرى، أو من طقوس معينة لعبادات مخصوصة، بل كان فاتح عهد جديد في الحياة بكل ما تعنيه معنى كلمة الحياة. وشاعرنا حسّان خير أنموذج على هذا التغيير قال إحسّان النص: "كان ظهور الإسلام فاتحة عهد جديد في حياة حسّان، فقد اختاره الرسول عليه الصلاة والسلام ليكون شاعره المفضل، ويذود عنه وعن الإسلام بلسانه، ويسجل وقائعه مع المشركين"[2]، ولاشك أن هذه الانتقالة وهذه المهمة التي أوكلت له. انعكست على شعره فالقيم الإسلامية جعلت من الشاعر الذي كان ينظم الشعر للتكسب، أو من أجل المباهاة والمفاخرة المحضة، صاحبَ رسالة وأهداف سامية في الحياة، زد على ذلك التأثر الواضح بأسلوب القرآن الكريم الفريد، وصوره

المتدفقة، التي غيّرت الإنسان، فتغيّرت نظرته لكُنهِهِ ومكوناته السياسية والاجتماعية والروحية، وكما قيل: "وهل الشعر غير التعبير عن جوهر الإنسان"[3].

وهذا التغيير شمل كل من آمن بالدين الإسلامي سواء أكانوا من الشعراء كعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك رضي الله عنهما أم من عامة الناس، إلا أن الذي ميّز حسّان عن غيره؛ إذ على الرغم من تأثره الواضح بالقرآن والسنة النبوية وكثرة الألفاظ الإسلامية في شعره[4]، فإن شعره كان ذا أثر بالغ على المشركين فكان بحق أشد عليهم من نضح النبل في الليل الأظلم كما وصفه النبي ﷺ... وكذلك أنه جمع بين الالتزام بقيم الإسلام واستخدامه الألفاظ والمعاني الجزلة الموجعة للمشركين، ويتضح ذلك بمقارنة شعر عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك اللذين ظهرت القيم الإسلامية في شعرهما بوضوح، وجاءت ألفاظ القرآن متداولة في نظمهما أكثر من حسّان إلا أنه لم يكن لشعرهما ذلك الأثر على المشركين؛ لأن المشركين فاقدي الإيمان بالله والرسول واليوم الآخر لايضرهم وصفهم بالكفر أو ترهيبم بالنار وعذاب القبر...الخ، وفي الاتجاه الآخر نجد الحطيئة إذ كان هجاءً لا يباريه أحد في الهجاء إلا أن شعر حسان تمييز عليه، وهكذا اكتسب شعر حسّان بن ثابت تلك الخصوصية التي جعلته شاعر الإسلام الأول بل أصبح أنموذجا لأثر الإسلام والقرآن في الأدب العربي في عصره[5].

أما بالنسبة لخصوصية شعره فإننا نجملها بالآتي:

**أولا: البناء الفني والموضوعي**، يعد حسّان بن ثابت مؤسسَ مدرسةٍ شعرية إسلامية حقيقية من خلال تطويره لنمط القصيدة العربية وخروجه عن بعض قواعد الشعر الجاهلي، وذلك بترك المقدمة الطللية وذكر الديار أحيانا[6]، أو استعماله لمقدمات جاهزة قالها قبل الإسلام، وهو ما يعبر عنه بهيكل القصدية التي كانت معروفة في الشعر الجاهلي[7] وكذلك استخدامه الألفاظ الإسلامية وأسلوب القرآن والسنة النبوية في شعره، فهو بهذا يعدّ أسبق ممن نسب التجديد إليهم في قضية تطوير المقدمة الطللية، علما أن أشعاره الجاهلية لم تكن تخلو من تلك المقدمات وذكر الديار، وهي متوافرة في ديوانه[8]، أن هذه الخصوصية تمثلت في ثلاثة نقاط رئيسة سجلت عن شعره وهي:

1. **قصر القصائد وخلوها من المقدمات الطللية**، كان للإسلام أثر في طول القصيدة وقِصَرِها وهذه من أهم الملاحظات المسجلة عن سمات الشعر الإسلامي لاسيما في –صدر الإسلام– أي إنّه اتصف بكونه شعر مقطوعات، وليس شعر قصائد، وهذا النوع لا يتطلَّب مقدماتٍ طويلة؛ لأنَّ ظروفه تدفع الشاعر إلى موضوعه مباشرةً دون تقديمٍ، فأصبح القِصَرُ هو السمة الغالبة على القصائد في صدر الإسلام، "يتَّضح ذلك بالمقارنة بين القصائد الإسلامية والجاهلية لشعراء الرسول عامة، ويتبيَّن بوضوحٍ ازدياد القصائد القصيرة في ظلِّ الإسلام؛ فحسّان بن ثابت قصائده الجاهلية القصيرة تِسْعُ قصائد فقط، بينما نجد له خمس وثمانون قصيدة إسلامية قصيرة عددُ أبياتها

دون العشرين بيتًا. أما المقدمات فقد اتسمت بالإيجاز الشديد عنده كما سيأتي، وهذا أنموذج من شعره الإسلامي قاله في رثاء سيد الشهداء حمزة بن المطلب:[9]

| | |
|---|---|
| أتعرفُ الدارَ عفا رسمُها | بعدكَ صوبَ المسبلِ الهاطلِ |
| بينَ السراديح فأدمانة | فمدفع الروحاءِ في حائلِ |
| ساءلتها عن ذلك فاستعجمت | لم تدرِ ما مرجوعة السائلِ |
| دعْ عنكَ دارا عفا رسمُها | وابكِ على حمزةَ ذي النائلِ |

هكذا نلاحظ أن حسّانا جاء بمقدمة من ثلاثة أبيات ثم أنصرف إلى غرض القصيدة فهو كما قيل عنه يوجز المقدمات ويتخلص منها في عجالة ويدخل في موضوع القصيدة[10]. وقيل إنَّ الشاعر هنا أتى بمقدمة جاهزة قالها قبل الإسلام[11]، ثم أضاف إليها المعنى الذي يقصده من النظم وهو الرثاء، والمهم هنا أننا نلاحظ استخدام الفعل(دع) في البيت الرابع من المقدمة وكرر ذلك في أكثر من قصيدة في مقدماته الإسلامية، وتؤكد إبتسام الصفار هذا الأمر وتعلله بأن الشاعر يسعى لردع نفسه عن الاسترسال في الحديث الشخصي والدخول مباشرة للموضوع، لأن الظرف النفسي والاجتماعي الذي كان يعيش فيه لايسمح له أن ينظم مقدمة طللية تقليدية لقصائده[12]. وقد ذهب الباحث عباس الفحام إلى تأكيد هذا الرأي إذ قال في معرض الحديث عن ترك المقدمة الطللية: "ولا يدع حسّان نفسه مسترسلة في ذكر الطلل، بل يردعها بالأسلوب الأثير لدى نفسه ليحيد عن البكاء على الديار إلى الوقوف على معنى جديد يمثل البداية الحقيقية لتطور المقدمات الطللية في القصيدة العربية"[13]، ولايعاب عليه ترك المقدمة الطللية أو استخدام المقدمة الجاهزة أحيانا؛ لأن الظروف التي كان الشاعر ينظم فيها قصائده تستدعي هذا أسلوب[14]، ويرى الباحثان أن حسّان بن ثابت كان مرتبكا في مقدماته لأنه أحيانا يستعين بمقدمة جاهلية جاهزة ومرة يترك المقدمة الطللية؛ وذلك لأن حسّانا كان أول من ترك المقدمة الطللية بشكل ملحوظ، وكل عمل عندما يبدأ ينتابه نوع من الارتباك؛ لأنّ الانتقالة التي حصلت للشاعر عقيدةً وتصورا أثرت في معاني شعره وأسلوبه، ومهما يكن السبب؛ فإنّه لا ينافي حقيقة القول بأنّ حسان بن ثابت هو أول من ترك المقدمة الطللية في الشعر العربي وهذه الظاهرة لم تنل حظها من الدراسة في النقد الأدبي القديم.

2. **اتصف شعر حسّان بالقوة والجزالة**، لسنا هنا بصدد مناقشة قوة شعر حسّان بن ثابت بقدر ما أدلل على ذلك بأدلة نقلية ومنطقية فالنبيﷺ وصف شعره بأنه (شفى واشتفى) وأبدى إعجابه به ودعا له. والنبي ﷺ لا يطلق الأحكام دون تذوق ومعرفة مسبقة، فهو أفصح العرب على الإطلاق، فقد ولد في مكة وتربى في بني سعد، وهم من أفصح القبائل يومها فضلا عن كونه نبي ﷺ، وقال أبو عمرو بن العلاء حسّان أشعر أهل المدر، ورد بعض المعاصرين ما قاله الأصمعي عنه[15]، هذا على العكس مما روج عنه بعض النقاد والمستشرقين من أنّ شعره ضعف في الإسلام

لضعف الذائقة الشعرية عندهم، أو عدم تمييزهم بين المنهج الجاهلي والإسلامي، فمن الظلم أن لايؤخذ التغيير الحاصل في العقيدة والفكر والسلوك بعد الإسلام بنظر الاعتبار فيقاس الشعر الإسلامي بمعايير الشعر الجاهلي.

**ثانيا: الخصوصية الفكرية**، إن التحول الذي طرأ على حياة حسّان بن ثابت أثر في شعره الإسلامي، إذ لم يعد شعره مجرد خاطرة يلقيها الشاعر للتعبير عن النفس أو الفخر بالقوم أو التكسب فحسب، بل أصبح له هدف سامٍ وغاية كبرى تنبع من العقيدة التي اعتنقها الشاعر ونذر نفسه للدفاع عنها، نستطيع أن نحدد الخصوصية الفكرية بنقطتين هما:

1. **الفكر الجمعي بدل من الذاتي:** لوحظ تحول فكري في شعر حسّان بن ثابت من الحديث عن النفس ومغامراتها وهواها إلى الحديث عن الجماعة والأمة، سواء أكان في التعبير عن حزنها والدفاع عنها أم تسجيل انتصاراتها وأفراحها كما حدث بعد معركة بدر الكبرى إذ قال:[16]

| | |
|---|---|
| عرفت ديار زينب بالكثيبِ | كخط الوحي في الورق القشيب |
| تعاورها الرياح وكلُّ جونٍ | من الوسمي منهم سكوب |
| فأمسى رسمُها خلَقا وأمست | يبابا بعد ساكنها الحبيب |
| ودع عنك التذكر كل يوم | ورد حرارة الصدر الكئيب |
| وخبر بالذي لاعيب فيه | تصدق غير اخبار الكذوب |
| بما صنع المليك غداة بدر | لنا في المشركين من النصيب |

تقول إبتسام الصفار عن هذه القصيدة: "لقد بدأ حسّان قصيدته... بثلاثة أبيات تحدث فيها عن ديار زينب الداثرة التي لم يبق منها إلا آثار كآثار الخط الباهت، ثم يتذكر عمران هذه الديار. وقبل ان يسترسل في الذكرى فيصف صاحبته ينتقل انتقالا طريفا بإيراد لفظ(دع) أيضا، وكأنه يزجر نفسه"[17]. ثم تعلل ذلك بأنّه سعى لـ" مواقف تخص المسلمين جميعا ويعبر عن مشاعرهم فيها، وفرحهم بما أصاب المسلمين من نصر عظيم يوم بدر"[18] يؤكد عباس الفحام هذا المعنى بقوله: "قبل أن يمضي في الذكرى قدما ينتقل بأسلوب مفاجئ مستخدما لفظ(دع) كأنه زاجر لنفسه، ليعود إلى موقفه الجديد الذي يمثل فكر الجمع العام للمسلمين"[19]، فالتحول الفكري واضح عند الشاعر والفرق بيّن بين هذه الأفكار وأفكار الجاهلية التي يكثر فيه الحديث عن (الأنا) أو (القبيلة) وما يدور حولها من معاني، ولكي لانستطرد في هذا الباب نخلص إلى أن في النص الشعري السابق ملمحين مهمين هما: تأكيد ما تناولناه في قضية تطوير المقدمة الطللية. والتحول في الأفكار والمعاني بستخدامه الفعل(دع) الذي يستخدمه كأداة بارزة في مقدماته الإسلامية، ولأغراض متعددة وهذا الأسلوب سُمي فيما بعد بالتلخص[20] وقد أجاد فيه مجموعة من الشعراء من بينهم حسان بن ثابت.

2. **الجمع بين القيّم الإسلامية والهجاء المؤثر:** لاشك أنّ الإسلام ضيق باب الهجاء كثيرا وحرم قسما منه لاسيما ما يتعرض للأعراض المصونة، وما فيه كذب وجور، إلا أنّ شاعرنا تميّز عن معاصريه بأسلوبه الذي جمع بين القيم الإسلامية من جهة، والهجاء المقذع بمثالب القوم وأيامهم ووقائعهم والتعرض لأنسابهم من جهة أخرى[21]. قال يحيى الجبوري: " فحسّان من بقية الجاهليين الفحول، ولم يبق في عصره من يطاوله مكانة، غير لبيد وكعب بن زهير، والحطيئة، ولم يستطع أحد من هؤلاء أن يبرز في الإسلام، ويساير الدعوة مثله، فكان هو الشاعر البارز الذي يهابه خصومه، فكانت قريش تجزع الجزع الشديد من هجائه، حيث يطعن في أحسابها ويرميها بالهنات"[22]، ولعل السبب أنه لم يقصر شعره على الجانب الديني كما صنع عبد الله بن رواحة، وغيره من الشعراء، لذلك وصف شعره بأنّه أشد عليهم من وقع النبل.

**أسباب خصوصية شعر حسّان بن ثابت.**

إن أسبابا كثيرة كانت وراء هذا التمييز في شعر حسّان بن ثابت، وجعلت له هذه المكانة والخصوصية، ومن هذه الأسباب:

1- التحول العقدي: إن هذا السبب يمكن أن يعدّ من أهم الأسباب التي ميّزت شعر حسّان عن غيره؛ لأنّ انتقال الشاعر من الجاهلية الوثنية إلى الإسلام دين التوحيد الخالص، لم يكن انتقالا سطحيا أو مرتبكا كما حصل مع الحطيئة، بل كان انتقالا عميقا شمل كل تصوراته وأفكاره غيّر من أسلوبه ومعاني شعره كما مرّ بنا.

2- توجيه الرسول ﷺ له وتشجيعه على قول الشعر في أكثر من مناسبة والدعاء له بتأييد روح القدس.

3- شاعريته الفذة: فقد عدّه النقاد أفحل شعراء المدر، نقل عن أبي عبيدة أنه قال: "فضل حسّان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام"[23]، وهذا الفحولة لاتنكر ولاترد لقول ناقد أو أديب رأى ما رأى في شعره.

4-لم يكن حسّان يعمل لوحده فقد كان من يرشده ويعينه إن لم يكن في النظم ففي المعلومات التي يبحث عنها، والألفاظ التي يستخدمها من خلال مجالسته لأبي بكر (رضي الله عنه) بأمر من النبي ﷺ.

واختلفوا في نمط هذا التغيير ومستواه فمن قائل إنّه لآن وضعف ومن قائل إنّه فقد رونقه وجزالة ألفاظه بسبب كبر سنه وقائل يقول إنّه دخل في شعره ما ليس له بسبب الانتحال[24].

**المبحث الثاني: موضوعات شعره في الإسلام**

حسّان بن ثابت ﷺ شاعر مخضرم عاش شطرا من حياته في الجاهلية وشطره الآخر في الإسلام، ونرى أثر العصرين واضحا جليا في شعره، فالشعر كما يقال: "وسيلة لتصوير حياة الإنسان إزاء المحيط الطبيعي الذي ولد فيه، ووسيلته لتصوير مخاوفه ومباهجه في هذا الوسط، بالإضافة إلى التعبير عن موقفه من تلك العلاقات الإجتماعية"[25]، فكان شعره سجلا مصورا للأحداث، ويضم الديوان بين دفتيه أشعارا كثيرة، إذ يعد شاعرنا من الشعراء المكثرين كما إنه تناول أغراض الشعر كلها تقريبا، فقد طرق باب المديح، والوصف، والغزل، والهجاء، والاعتذار، والرثاء، ولا غرابة في أن ينظم حسّان في كل هذه الأغراض وقد عاش في عصرين توافرت فيهما دواعي الإنشاد كله. ففي الجاهلية كانت الحروب القبلية المشتعلة من أهم بواعث قول الشعر، وعند بزوغ فجر الإسلام وبدء المعركة الكلامية بين المسلمين والكفار كان شاعرنا من ضمن الشعراء الثلاثة الذين اختارهم النبي ﷺ للرد على المشركين الذين كانوا يهجونه، فكان شعرهم هو السلاح الأول للدفاع عن الدين الجديد وهو في أخطر مراحله. وللشاعر مكانة مهمة لا يمكن تجاهلها وذلك لأنه "من أبرز الشعراء الذين رفعوا راية النضال الشعري ضد المشركين، وأنه أقوى شاعر اعتمد عليه الرسول ﷺ، في الذب عن أعراض المسلمين، ضد هجاء قريش أول الأمر"[26].

لا نريد الخوض في تفاصيل شعره الجاهلي، فما يهمنا هو الشعر الذي قاله بعد أن شرح الله للإسلام صدره، وهو شعر منسجم مع روح الدعوة الإسلامية ومتلائم مع مبادئ الدين الجديد، "فقد تجنب الغزل الفاحش أو الفخر بالميسر والخمر كما اعتاد في جاهليته، وأصبح أكثر استجابة للموضوعات التي يمكن أن تخدم الدعوة وصاحبها بعيدا عن المحرمات"[27]. وأثر الإسلام في شعر حسّان بن ثابت يبدو واضحا، وكان سبب ذلك إسلامه العميق ومصاحبته لصاحب الدعوة ﷺ، فجاء شعره الإسلامي شعرا موجها لخدمة العقيدة الجديدة، شعر لم يأخذ وقتا للإعداد والتنقيح، شعر سريع التدفق غزير المعنى. كما تناول الموضوعات التقليدية في الشعر كالفخر والمدح والرثاء بروح مستوحاة من هدي الرسول الكريمﷺ فضمنها الأفكار الإسلامية وبث فيها روح الجهاد وخلق النبوة[28]. وأغراضا إسلامية أبرزناها في هذه الأسطر:

**أولا: المديح**

فن من الفنون القديمة عرفه القدامى وأفردوا له الكثير من القصائد في دواوينهم، والمديح من الأغراض التي يندر أن يتركه شاعر، ولكن الشعراء يختلفون فيه قوة وضعفا، وهو فن أدبي عريق لما فيه من إبداع في إظهار مناقب الممدوح بصورة فنية مميزة، ويقوم على إعجاب الشاعر به؛ لصفات يتحلى بها وهي غالبا ما تكون قيما أو مواصفات اجتماعية توارثها الناس عن آبائهم وأجدادهم، وتختلف هذه الصفات من عصر إلى عصر حسب تغير القيم والمفاهيم التي تسود مجتمعا من المجتمعات وتلقى قبولا لديهم. وقد أشار ابن طباطبا إلى أغلب هذه الصفات التي منها ما تكون في الخَلق كالجمال والبسطة، ومنها في

الخُلق كالسخاء والشجاعة، والحلم، والعقل، والأمانة، والصبر، والصدق، والعدل، والإحسّان، والعفو وغيرها كثير[29].

ومما يلاحظ على شعر المديح في عصر النبوة قلته إذا ما قورن بالعصر الجاهلي، ويرجع يحيى الجبوري سبب ذلك إلى أنّ الرسولﷺ والخلفاء الراشدين كانوا ينأون بأنفسهم عن الثناء والإطراء، وأنّ الشعراء انصرفوا عن المبالغة في المدح، كما أن فرض الأرزاق من بيت المال لأغلب الشعراء أدى إلى ابتعاد الشعراء عن التكسب بالشعر فخمل شعر المديح[30]. وهذا الأمر ينطبق على شاعرنا أيضا، فقصائده الإسلامية في المديح قليلة جدا إذ لم يزد عن خمسة وأربعين بيتا[31]، وتدور معظمها حول شخص الرسول الكريم ﷺ، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة العصر وما وقع فيه من أحداث جسام فشد انتباه شاعرنا عن المديح إلى ما هو أهم ألا وهو نشر الدعوة الإسلامية والذود عن أعراض المسلمين.

وتتميز قصيدة المديح عند حسّان بن ثابت بأنها مزيج من الفضائل الجاهلية والقيم الإسلامية إذ لا تعرض بين تلك الفضائل والقيم، فالإسلام أقرَّ العرب على ما تمادحوا به من شجاعة وكرم وأضاف إليها تقوى الله والهداية والاستقامة[32]. ولأنها نبعت من قرارة نفسه فمدائحه جاءت مترجمة للواقع معبرة عن مدى الحب والتقدير والإعجاب بممدوحه، ولم يكن الهدف منه التكسب؛ بل العرفان والوفاء، وخير مثال على ذلك قوله في الرسول الكريم ﷺ:

شق له من اسمه كي يجله فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا يلوح كما لاح الصقيل المهند[33]

فشاعرنا هنا لم يمدح النبيﷺ بالكرم والشجاعة كعادة الشعراء في وصف ممدوحيهم؛ بل مدحه بصفات إسلامية تناسب منزلة النبوة والرسالة، وهي مستمدة جميعها من ألفاظ القرآن الكريم. فيقول إن الله تعالى اشتق اسم نبيه من اسمه، وإنه سيكون هاديا يهديهم إلى طريق الحق والرشاد ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام. وتتجلى قدرة الشاعر في هذا البناء الفني عندما يرد على شعراء الوفود الذين قدموا على الرسولﷺ، بقصائد جمعت بين المعاني الجاهلية والمعاني الإسلامية في المدح[34]، ومن ذلك مدحه أبناء فهر وأخوتهم بالشجاعة وذكره بطولاتهم إذ قال:

إنّ الذوائب من فهرٍ وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبعُ
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا[35]

ينهل الشاعر هنا من معاني القرآن الكريم، فيمدح المسلمين من المهاجرين والأنصار بصفات مستمده من المعاني الإسلامية، فالمسلمون أقوياء على الأعداء رحماء فيما بينهم، والبيت الثاني كناية على أن الإسلام دين الفطرة السليمة وأنه جاء للناس كافة. ويرى المستشرق بلاشير أن قصائد حسّان المدحية لم يطرأ عليها تغيير جوهري فإن المداح وشاعر القبيلة الماثلين في شخصية حسّان في الجاهلية

قد تحولا إلى مادح للرسولﷺ وصحابته[36]، وفي هذا الكلام نظر لأن المتفحص لشعر حسّان بن ثابت يرى أن تغييرا جوهريا طرأ على مدحه، فشاعر القبيلة الذي كان يمدح لغاية مادية ومنطلق عرقي جاهلي صار لا يمدح إلا من منطلق إيماني وغاية أخلاقية تسمو على روح العصبية والماديات الضيقة، هذا من جانب، ومن جانب آخر التحول الكبير الذي طرأ على شعره على مستوى الشكل والمضمون؛ مستوى الألفاظ والمعاني، كل ذلك دليل على التغير الكبير الذي أشرنا له، بل إن المستشرقين والمتحاملين على حسّان والمدافعين عنه، يتفق مضمون كلامهم على أن تغيرا كبيرا حصل في شعره ولكنهم اختلفوا في تقييم ذلك التغير.

**ثانيا: الهجاء**

الأدب بفنونه وموضاعاته، صورة للحياة وتعبير عن أفكار يحس بها الأديب من خلال تفاعله مع هذه الحياة. والشعر أداة فنية يرسم بها الشعراء ما يجيش في نفوسهم من مشاعر وأحاسيس تجاه شخص أو جماعة من الناس، ففي الهجاء يحاول الشاعر من خلال شعره إيذاء مهجوه وإيلامه بكل ما يتنافى مع الفضائل المعنوية المعروفة كالكرم والشجاعة والوفاء؛ حتى يكون شديد الوقعة عليه ويزري بقيمته. وقد يتساءل القارئ كيف أنتشر الهجاء في عصر النبوة بالرغم من أنه نهي عنه في البدء، وتعاليم الإسلام الحنيفة لا تتوافق والخوض في أعراض الناس؟ نقول صحيح أنّ الإسلام حرّم الهجاء الفاحش والمقذع ونهى الشعراء عن النظم فيه، ولكن بعد أن أُذن بالقتال وأصبح الحرب بين المسلمين وكفار قريش حربا ميدانيا ولسانيا لاسيما بعد أن هجا شعراؤهم المسلمين ونبيهم، وجه الرسولﷺ الشعراء وعلى رأسهم حسان ليجيبوا شعراء قريش ويحاربوهم بأداتهم نفسها ويهجوهم لكن هجاء مشروط بشروط الإسلام[37].

ولم يكن شعر الهجاء في صدر الإسلام قائما على المنازعات الشخصية، فلم يكن اهتمام الشاعر مركزا على سلب الصفات الحميدة من شاعر بينه وبينه خلاف شخصي؛ بل كان الهجاء هجاء دينيا قائما على المعارضات بين الشعراء. وفي تلك الحروب الكلامية المشتعلة بين شعراء المسلمين والمشركين كان حسّان بن ثابت وكعب بن مالك يهجوان قريشا بالوقائع والأيام، وعبد الله بن رواحة يهجوهم ويعيرهم بالكفر، فكان هجاء حسّان وكعب أشد وقعا عليهم قبل إسلامهم وفي ذلك يقول شوقي ضيف: "ومن المؤكد أن حسّان وكعب كانا يرميان قريشا عن بصيرة حين غلبت على هجائهما صورة الهجاء القديمة، لأنها هي التي كانت تؤذي نفوس القرشيين المكيين ولو أنهما رمياهم بالشرك وعبادة الأوثان لما نالا منهم، إذ كانت تلك عقيدتهم وكانوا يعتزون بها"[38]. وقد كثرت أهاجيه إذ بلغت مئة وعشر مقطعات، ومع هذه الكثرة لم تكن قصائد طويلة بل كانت ضربات وطعنات نافذة توجه إلى أسوأ ما في الخصم فتصرعه[39].

ويمكن تقسيم شعر الهجاء عند حسان إلى قسمين:

**الأول:** فردي كهجائه لأبي سفيان، وابن الزبعري، وابن المغيرة، والحارث بن عوف وغيرهم، ومن ذلك قوله للحارث بعد أن قتل قومه الأنصاري الذي بعثه الرسول الكريم ﷺ بطلب من الحارث ليعلمهم القرآن:

يا حار من يغدر بذمة جاره منكم فإن محمدا لم يغدر
إن تغدروا فالغدر منكم شيمة والغدر ينبت في أصول السخبر[40]

حسّان في هذه القصيدة يجمع بين منهجيه في شعره الإسلامي، فاستخدم الأسلوب الجاهلي في هجاء الأعداء، واستخدم الأسلوب الإسلامي في مدح الرسول ﷺ، ولشدة وقع الهجاء عليه، جاء الحارث معتذرا إلى الرسول ﷺ وطلب منه أن يكف عنه حسّانا على أن يؤدي الدية[41].

**الثاني:** جماعي كهجائه لمشركي قريش وبعض القبائل كقبيلة ثقيف وبني سُليم. وخير مثال على ذلك أبيات قالها في هجاء قريش:

فلا والله ما تدري معيص أسهل بطن مكة أم يفاع
وكل محارب وبني نزار تبين في مشافره الرضاع
وما جمح ولو ذكرت بشيء ولا تيم فذلكم الرعاع
لأن اللؤم فيهم مستبين إذا كان الوقائع والمصاع
ومخزوم هم وعدي كعب لئام الناس ليس لهم دفاع[42]

نرى في هذه الأبيات هجاء شديدا على (معيص) وهم من بطون قريش[43]، وقد اعتمد في الهجاء على صفة اللؤم وإكسابها إياهم. وهذا طرف من أسلوبه في هجائه النضالي عامة، ولعله يريد في البيت الثاني أن يبين أنهم صعاليك سفلة[44].

**ثالثا: الفخر**

الفخر بالنفس والقبيلة ظاهرة قديمة في الشعر العربي، فالأمم تفتخر بمآثرها وبما أنجبت من رموز على مر أيامها، وقد جسد الشعراء وجدان مجتمعاتهم في تمجيد الشجاعة، والكرم، والوفاء، بوصفها من جماليات القيم التي كانت سائدة في تلك المجتمعات. والشجاعة والبطولة في المعارك على رأس الموضوعات التي تغنى بها الشعراء في كل العصور، فمن البديهي أن يرسم الشعراء في صدر الإسلام أروع اللوحات مفتخرين بقوتهم وجهادهم في سبيل الله، وكان لفخرهم جانبان: جانب ديني يعتز فيها الشاعر بدين الله الحنيف ونبيه، وجانب ذاتي بالنفس والقبيلة والأهل، على خلاف المشركين الذين كانوا يفخرون بالقوة وشدة البأس وكثرة العدد لا بالدين والعقيدة[45]. وقد هذّب الإسلام فن الفخر عند الشعراء ومنهم حسّان بن ثابت، الذي عرف بالإفراط في الفخر في مضماري الفخر الفردي والفخر القبلي، فلما أسلم اتسع المضمار الجماعي وخالط عقله فكر أسمى وقلبه روح أنبل وأصبح له هدف أسمى تجلى في ست عشرة قصيدة من أصل ست وثلاثين قصيدة في الفخر[46]. فلم يعد يفخر بالقبيلة كسابق عهده في

الجاهلية بل تعداها إلى الفخر بالإسلام وبانتصار المسلمين في المعارك؛ بل حتى فخر بقتال الملائكة مع المسلمين، ومن فخره أبيات قالها مفتخرا بالأنصار الذين آووا النبي ﷺ ونصروه وصدقوا رسالته، فقال:

فلما أتانا رسول المليك بالنور والحق بعد الظلم
ركنا إليه ولم نعصه غداة أتانا من أرض الحرم
وقلنا: صدقت رسول المليك هلم إلينا وفينا أقم
فنشهد أنك عبد المليك أرسلت نورا بدين قيم[47]

فالفخر في هذه الأبيات انقلب رأساً على عقب عن الفخر الجاهلي بالأحساب والأنساب والتعصب للقبيلة، وأحل محلها الأثرة الإسلامية، والتفاني في حب الله، والفخر بالمنافحة عن الرسول ﷺ، وتصديق رسالته ابتغاء لما عند الله تعالى من جزاء، "فقد أمد الإسلام شاعرنا الفخور المتباهي بمعين من الفخر الجديد، ونفح من شعره روحا حيا وعزما قويا، وضمن له حياة خصبة طويلة".[48] ولحسّان فخر شخصي أيضا، فنراه تارة يفخر بمقدرته الشعرية وتارة يفخر ببطولته، وثالثة يفخر بأنه موجود لمساعدة صديقه عندما يحتاجه، وفي الأخيرة يقول:

وإني لسهل للصديق وإنني لأعدل رأس الأصعر المتمايل[49]

وإن كنا نرى في هذه الفخر مزيج من قيم جاهلية وأخرى إسلامية، إلا أن فخره الشخصي قليل إذا ما قورن بفخره الجماعي[50].

**رابعا: الرثاء**

يتسم الرثاء بالصدق غالبا، لأنه يعبر عن وجدان قائله مجردا من الرغبة والرهبة، فوارا بالعاطفة الصادقة المؤثرة في نفوس سامعيه، وقد شاع فن الرثاء في الشعر العربي منذ القدم بالرغم من أن شعراء العربية الأوائل لم ينظموا قصائد خاصة بالرثاء، إذ كثيرا ما كانت قصائدهم في الرثاء تقترن بشعر الحماسة لأن الشاعر كان يقصد الثأر من رثائه. أما الرثاء في الإسلام فيختلف عن الرثاء الجاهلي من بعض جوانبه، فقد هذب الإسلام النفوس، وتقبل المسلمون خطوبهم بصدر رحب ولم يخرجوا عن رشدهم وطورهم في النظر إلى وفاة الأحباب[51].

ولم يرث حسّان أحدا في الجاهلية، أما في عصر الرسالة فمن يقرئ مراثيه _ وعدتها ثمان وعشرون قصيدة ومقطعة[52]، يجد أنه نظم شعرا جيدا في هذا الغرض و أجاد فيه إجادة فائقة. إذ وجد في هذا الفن ميدانا رحبا فأطلق لنفسه العنان فبث أشجانه وحكى أحزانه وبكى بمرارة على سيد المرسلين ﷺ، وعن صدق عاطفته في ذلك يقول:

ما بال عيني لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمدِ
جزعا على المهدي أصبح ثاويا يا خير من وطئ الحصى لاتبعدِ
جنبي يقيك الترب لهفتي ليتني غُيّبتُ قبلك في بقيع الغرقدِ

أأقيم بعدك بالمدينة بينهم  يا لهف نفسي ليتني لم اولدِ[53]

ونرى في الأبيات السابقة كيف تجيش عواطفه وتسود الدنيا أما ناظريه، فيبكيه بمهجة أذابها الأسى واللوعة، وبعبارات حارقة وألفاظ مشحونة بالتحسر والتفجع. وقد بكى شاعرنا الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بأبيات تعد من أقوى مراثيه وأشجاها يلوم فيها الأنصار الذين تخاذلوا عن نصرته فيقول:

أتركتموه مفردا بمضيعة  تنتابه الغوغاء في الأمصارِ
لهفان يدعو غائبا أنصاره  يا ويحكم يا معشر الأنصارِ
هلا وفيتم عندها بعهودكم  وفديتم بالسمع والأبصارِ[54]

وتتضمن قصائد الرثاء عند حسّان معاني إسلامية، وخير مثال على ذلك أبيات قالها في رثاء الصحابي خبيب:

ما بال عينيك لا ترقا مدامعها  سحا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق
على خبيب وفي الرحمن مصرعه  لا فشل حين تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيب جزاك الله طيبة  وجنة الخلد عند الحور في الرفق[55]

فشاعرنا في رثائه لخبيب يعتمد منهجا إسلاميا بحتا، فيتحدث عما ينتظر الفقيد من حسن ثواب في الآخرة، ويبشره بجنة الخلد، وهي صورة مناقضة للرثاء الجاهلي القديم الذي كانت أبياته مشحونة بعصبية تدعوا إلى الأخذ بالثأر حتى ترتاح روح الميت في قبره فلا تتحول إلى هامة تصيح اسقوني اسقوني.

**خامسا: الوصف**

الوصف هي الوسيلة الأدبية التي يستعين بها الشاعر لتصوير إعجابه بما يشاهده معتمدا على الخيال وصدق التصوير. وقد عرف فن الوصف مذ عرف الشعر العربي، يقول صاحب العمدة " الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف"[56]. ولشعر الوصف أهمية تاريخية بجانب أهميته الفنية، لأن "الشعر يصف الحرب وما يرافقها من أحداث وملابسات وتفصيلات حتى ليصبح الشعر الذي قيل في معركة من المعارك، أن يعتمد نصا تاريخيا يمكن الاطمئنان إليه"[57]. ومع أن شاعرنا لم يقاتل إلا أننا نجد له شعرا في كل الغزوات وإن امتزج بالهجاء في الغالب.

وقد طرأ على الوصف ما طرأ على الأغراض الشعرية الأخرى من تغير عقب بزوغ فجر الإسلام، بل لا نبالغ إذ قلنا أنه يعد من أكثر الأنماط الشعرية التقليدية التي دخل فيها موضوعات ومعان جديدة، فقد أعطى له الإسلام ثروة في المعاني والأفكار.

ويبدو هذا التغير جليا في قصائد حسّان بن ثابت الوصفية، إذ يمكن بسهولة أن نلاحظ تأثير الإسلام في مفرداته ومعانيه، فقصائده فيها ذكر لمصطلحات عسكرية مستجدة كالجند والكتيبة[58]، ومن ذلك قوله:

وقال الله قد سيّرتُ جندا  هم الأنصار عرضتها اللقاء

لنا في كل يوم من معد قتال أو سباب أو هجاء[59]

وشاعرنا في هذه الأبيات يشير ضمنيا إلى أن النصر من صنع الله تعالى وليس بقوة المسلمين ولا بشجاعة قائدهم. ومن وصف حسّان أبياته التي يصف فيها هجاءه ويبين مدى تأثيره في نفوس المهجوين، فقال:

قد ثكلت أمه من كنت صاحبه أو كان منتشبا في برثن الأسد

ما البحر حين تهب الريح شاملة فيغطئل ويرمي العبر بالزبد[60]

هنا يصف حسّان قوة هجائه ويبيِن عاقبة من يتعرض له بالأذى، وأنه كمن يدخل عرين الأسد طائعاً، ثم يبيِن هيئته عندما يغضب، وأنه في هذه الحالة يكون كالبحر عندما تهيجه الريح، ويصف لنا بأسلوب إبداعي رائع تفوقه واقتداره في الهجاء بحيث لا يدانيه فيه أحد[61].

وفي وصف جيش المسلمين قال:

عدما خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء

يبارين الأسنة مصغيات على أكتافها الأسل الظماء

تظل جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء[62]

الأبيات السابقة لوحة فنية رائعة تموج بالحركات والأصوات في تصوير دخول جيش المسلمين إلى مكة وهي ثير النقع_كناية عن اشتداد المعركة _ ويدعي على خيل المسلمين بالموت إن لم تهاجم الأعداء المشركين في معركة شديدة يتصاعد منها الغبار قرب"كداء" في أطراف مكة ويقول كناية عن انهزام المشركين إن خيولنا في المعركة لا تجد من يردها في صفوف العدو فتخرج إليها نساء الكافرين تحاول كل منهن ردها بخمارها.

**سادسا: الغزل**

قلما نجد في عصر صدر الإسلام قصيدة غزلية قائمة بذاتها، بل تأتي في الغالب عرضا في قصائد ذات مواضيع مختلفة كالفخر والهجاء. ويتميز الغزل_إن وجد_ بأنه عبارة عن شوق للحبيبة، وشكوى من فراقها، ووصف البعد والهجران، وشوق وتوق النفس لتجديد اللقاء. وقد بهت الغزل عند حسّان مذ نفذ شعاع الإسلام إلى أعماقه إضافة إلى كبر سنه، فلم يتغزل في قصائده الإسلامية إلا في أبيات معدودة، ومنها قوله:

منع النوم بالعشاء الهموم وخيال إذا تغور النجوم

من حبيب أصاب قلبك منه سقم فهو داخل مكتوم[63]

ويتحدث شاعرنا هنا عن تعلقه بحبيبته وولعه فيها، وما أصابه من فراقها. ونجد بأنها أبيات غزل عفيف لا مجال فيها لذكر محاسن الحبيبة.

**سابعا: أغراض أخرى**

ولحسّان أغراض شعرية أخرى ألا أن نتاجه الشعري الضئيل في هذه الأغراض لا يشجع الباحث على دراسته ويضعف طموحه. ومن الأغراض التي لامسها حسّان في شعره الإسلامي ولم يستطرد فيها:

1. **الوقوف على الأطلال:** فكما بينا في المبحث الأول خرج حسّان عن بنية القصيدة التقليدية فلم يبدأها بالوقوف على الأطلال وبكاء الديار إلا في القليل من قصائده التي بدأها على شاكلة القصائد الجاهلية، وفيه ذكر الطلل، فيقف الشاعر ويبكي ويستبكي. وتمتاز مقدمات حسّان الطللية بالقصر فعادة ما يزجر الشاعر نفسه بعبارة دع ذا لينتقل بعدها إلى غرض القصيدة الرئيسة، ففي بكائه على دار زينب يقول:

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الرق القشيب
تعاورها الرياح وكل جون من الوسمي منهمر سكوب
فأمسى رسمها خلقا وأمست يبابا بعد ساكنها الحبيب[64]

تركز هذه الأبيات على الطلل كمعلم يرتبط به وجدان الشاعر، فيثير ذكرياته، ويقف عندها يبحث عن آثار الحبيبة ليقرأ ماضيه معها.

2. **الحكمة:** ولحسّان أبيات في شعر الحكمة كان قد استسقاها من القرآن الكريم وشخصية النبي الأمينﷺ، منها قوله:

إن امرءا أمسى وأصبح سالما من الناس إلا ما جنى لسعيد[65]

**المبحث الثالث: رأي النقاد والمستشرقين في شعره الإسلامي**

أحدث الإسلام تغييرا فكريا في حياة العرب، شمل مختلف نواحي الحياة، يظهر ذلك جلياً في إبداع شعرائهم، ولعل من أبرز هؤلاء الشعراء، حسّان بن ثابت ، الذي كان شعره الواجهة الإعلامية للدين الجديد، وكان يهزم به الشعراء وينتصر للرسول وللإسلام، بصفته النموذج الأول في الإسلام الذي يأخذ مكانته الرسمية فيه بمباركة النبيﷺ. وقد أعجب القدامى بشعر شاعرنا وشهدوا له بجودة شعره، وحين عمدوا إلى المفاضلة بينه وبين الشعراء الآخرين قدموه على شعراء الحواضر جميعا[66]. يقول أبو عبيدة: "أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف، وعلى أن أشعر أهل المدر حسّان"[67]. كما أقروا له بالفحولة، ومن ذلك ما رواه ابن دريد عن أبي حاتم حين سأل الأصمعي عنه قائلا: "قلت وحسّان بن ثابت؟ قال: فحل"[68]. والفحولة عند الأصمعي هي" من كان له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاق"[69].

وقد شاعت فرية عن شاعر الرسول في بعض كتب التاريخ والتراجم، ألا وهو ضعف شعر حسّان الإسلامي. وأقدم أثر نقدي في القضية قول الأصمعي"الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف، هذا حسّان فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره"[70].

وبعض الباحثين من عرب ومستشرقين أشاعوا فكرة ضعف شعره الإسلامي متأثرين بقول الأصمعي السابق، والأسباب التي دفعت الأصمعي وغيره من الرواة واللغويين إلى المجاهرة بدعوى ضعف شعره الإسلامي هي:

**أولا:** تطرق معاني الإسلام إلى الشعر في موضوعاته وألفاظه، فأصبح يغاير الصورة الجاهلية التي عرف بها. فلا شك في أن لغة حسّان الشعرية تغيرت بعد الإسلام، إلا أن ذلك لم يكن ضعفا، بل كان تأثرا بمعاني ومفردات الدين الجديد، ومغايرا لصورة الشعر الجاهلي القديم، الأمر الذي رأى فيه بعضهم اللين والضعف، لأنهم كانوا يعتقدون أن الشعر يجود أو يسقط بمقدار قربه من أساليب الشعر الجاهلي أو بعده عنها[71]. وشاعرنا شاعر مدني، نشأ في المدينة وخالط آل جفنة، ثم دخل في الإسلام وحسن إسلامه، فكان طبيعيا أن يلين جانبه وترق حاشيته، ..... فيتجنب الغريب والحوشي من الألفاظ، ويبتعد عن الغلو والإفراط[72]. والأصمعي يسمي ذلك الأسلوب لينا لأن ما يعجبه هو غرابة الألفاظ، وضخامة الأسلوب، والمبالغة في المعاني.

يقول المستشرق بروكلمان عن شعر حسّان الإسلامي: " وأكثر شعر حسّان قريب الألفاظ إلى حد الابتذال، ولا يصل إلى مستوى الحد الرفيع. وإنما يرجع فضل انتشاره والتعلق به في الأزمنة المتأخرة إلى غرضه العظيم الأهمية وهو مدح النبيﷺ"[73]. وهذا الرأي يفتقر إلى الحقيقة والموضوعية بدليل أن شعر حسّان الإسلامي كان من القوة والجزالة حتى إنّه كان سببا في إسلام وفد تميم حين قدموا على النبيﷺ ومعهم شاعرهم الزبرقان بن بدر، الذي أنشد النبيﷺ أبياتا، فطلب الرسولﷺ من شاعرنا أن يرد عليهم، فقال حسّان:

هل المجد إلا السؤدد والندى وجاه الملوك واحتمال العظائم

نصرنا وآوينا النبي محمدا على أنف راض من معد وراغم[74]

فلما فرغ حسّان من قوله، قال الأقرع بن حابس: إن هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، فلما فرغ القوم أسلموا[75].

ونرى أن الرسولﷺ فضل حسّان على غيره من الشعراء واختاره ليرد على شاعر تميم لقوة شعره وتمكنه منه.

ومن جهة أخرى يرى أحد الباحثين أن المسألة مسألة منهج، فالإسلام جاء بقيم جديدة، جعلت الإنسان العربي صاحب رسالة عليه أن يبلغها للعالمين، وجاء في هذه الرسالة أن من الشعر شعرا مرغوبا فيه، ومنه ما هو مرفوض في المجتمع الإسلامي، إضافة إلى تأثر أسلوب حسّان بأسلوب القرآن التصويري المتدفق الذي جاء فريدا في أداء الأساليب والصور، وقد تغير الإنسان العربي نفسه بدخول الإسلام، فتغير شعره[76].

ونختم القول برأي إبتسام الصفار التي ترى بأن "شعر حسّان قبل الإسلام لم يكن في باب الشر حتى يقال أنه علا في الجاهلية فإذا دخل في خير الإسلام لآن"[77]. ومما سبق يتبين ضعف الآراء التي ضعّفت شعره.

**ثانيا:** النحل على لسانه، قال الأصمعي: " حسّان بن ثابت أحد فحول الشعراء، فقال له أبو حاتم: تأتي له أشعار لينة، قال الأصمعي: تنسب له أشياء لا تصح عنه"[78].

لقد كثر النحل على لسان حسّان نتيجة الخصومات السياسية التي برزت منذ خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فاستغل الخصوم السياسيون مكانة شاعرنا وقيمة شعره فكتبوا القصائد والمقطوعات الشعرية في مدح أنفسهم ومواليهم ونسبوها له. ومن هذا المنطلق يرجع محمد مصطفى هدارة ما قيل عن ضعف شعر حسّان إلى ما دُسّ عليه من أشعار، ويرى أنه من غير المعقول القول بضعف شعر حسّان الإسلامي وفقدان رونقه وجزالته وإحكام صياغته، وهذا القول _حسب رأيه_ مدفوع بشعر حسّان نفسه الذي صحت نسبته إليه والذي ازدان بحس إسلامي قوي سرى في المضمون والشكل على السواء[79].

وقد قال ابن سلام بلين شعر حسّان إلا أنه لم ينسبه إلى الخير في الإسلام مثل أستاذه الأصمعي؛ بل نسبه إلى الوضع، إذ قال:" وهو كثير الشعر جيده وقد حمل عليه ما لم يحمل على أحد".[80] وقد اختلط شعر حسّان شعر معاصريه مثل عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك، وأيضا بشعر من جاء بعده مثل ابنه عبد الرحمن. وممن حمل عليه أشعارا كثيرا ابن إسحاق في المغازي، ولاحظ ذلك ابن هشام وهو يروي عنه السيرة النبوية و كان يرجع إلى العلماء بشعر حسّان المروي عن ابن اسحق وعلى رأسهم أبو زيد الأنصاري فيسألهم عن صحة شعره، فكانوا يثبتون بعضا وينكرون بعضا الآخر[81].

وشاعرية حسّان لا يختلف فيها اثنان وديباجته ديباجة كريمة، وأما من جهة الطبع فحسّان شاعر مطبوع، وشعره الإسلامي لم يطرأ عليه أي تعديل أساسي سوى أن إسلامه دفع إلهامه الشعري نحو طريق جديد[82].

وقد وجدنا رأيا منصفا من ابن خلدون في رفضه ضعف الشعر في الإسلام؛ إذ كان يرى أن الإسلام كان سببا في تطور الشعر ورقته، وتفوق الإسلاميين على الجاهليين، وأن شعر حسّان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والحطيئة وجرير.. في خطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم للملوك أرفع طبقة في البلاغة بكثير من شعر النابغة، وعنترة وغيرهم، لأنهم سمعوا الطبقة العالية من البلاغة، وهي القرآن، وذلك لم يتأتى للجاهليين[83]. ويشهد على منزلة حسّان الشعرية معاصروه ومن جاء بعدهم من النقاد والشعراء وأئمة اللغة، وهذه أقوال مجموعة منهم. من ذلك قول الحطيئة:" أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب"[84].

كان حسّان يتمتع بشاعرية رائعة، ومقدرة رحبة على النظم، كما شد من أزرها خيال محلق استقى من أنوار الدعوة المباركة ما أعانه على التحليق في ذرا الوحي ورحاب الإيمان[85]. قال أبو عبيدة: " فضل حسّان الشعراء بثلاث، كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر الرسولﷺ في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام"[86]. ويرى فيه يحيى الجبوري أنه من بقية الشعراء الفحول، ولم يبق في عصره من

يطاوله مكانة، غير لبيد وكعب بن زهير والحطيئة، ولم يستطع أحد من هؤلاء أن يبرز في الإسلام ويساير الدعوة مثله[87].

ويتبين للقارئ من خلال ما أوردنا أن شعر حسّان الإسلامي لم يكن ضعيفا، وأن ما تناقلته بعض كتب التراجم والتاريخ ، كان عبارة عن تردد صوت الأصمعي دون التمحيص والتفتيش عن المسوغات الحقيقية التي ممكن أن تؤثر في الشعر، أو أن يكون النيل من مكانة شاعر الرسولﷺ وبالتالي الطعن في الدين الإسلامي على أنه يفقد الشعر رونقه وجزالته وهذا هو توجه أكثر المستشرقين.

علما أن رأي الأصمعي لا يصمد أمام آراء أئمة الأدب والنقد والشعراء في بيان منزلة حسان. فضلا عن تزكية خير البشر رسولنا محمدﷺ لشعره ولسانه فقد اختاره ليكون شاعره، وليكون لسان الإسلام والمسلمين، وهذه شهادة في حد ذاتها لا تعادلها شهادة، فأي حكم على حسّان بعد ذلك!

**الخاتمة ونتائج البحث:**

1- يرى الباحثان أن التغيير في بنية القصيدة ورؤية الشاعر بدأت مع بزوغ شمس الإسلام وبشكل منهجي مع حسان بن ثابت، ثم تابعه شعراء آخرون على هذا النهج، وهذا ما اغفله أو تغافلت عنه أكثر المصادر الأدبية التي ذهبت إلى أن التغيير بدأ في نهايات العصر الأموي أو بدايات العصر العباسي.

2- إنّ أهمية الشعر والشعراء كانت في كون الشاعر، ابن عصره ومرأة قومه، وأنّه المدافع الأول عن القيم التي يحملونها المهاجم العنيد لما سواها، فهو بمثابة القناة الرسمية لإعلام الدولة اليوم؛ ومن جهة أخري يمثل صورة عصره وسياقاتها.

3- إنّ القول بضعف شعر حسَان كان قولا مجانبا للصواب؛ لأنه أحتكم إلى المعايير الجاهلية التي ترى أن أعذب الشعر أكذبه، والشعر لابد أن يكون فيه من المبالغات غير المنطقية ما يرفع شأنه وهذه نظرة صحيحة ضمن سياق ثقافي محدد، لايمكن اعتماده في كل زمان ومكان.

4- لقد أجاد الشاعر حسّان بن ثابت أن ينقل النزعة الفردية (الأنا) في الجاهلية إلى نزعة جماعية تدور حول مفردات (التعاون، والنصرة، وحب الخير للناس، والدفاع عن المظلومين) وغيرها من الفردات التي اكتسبها من القرآن والتوجيه النبوي.

## الهوامش

[1] انظر: ميادة حمد عبد اللطيف، ( **شعر الأخطل بين الإنتماء القبلي والديني**)، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، 2016م، م(23) ع(10) ص275.

[2] إحسّان النص، **حسّان بن ثابت حياته وشعره**، ص98.

[3] حسن بشير صديق، **الأدب العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي** (الخرطوم: الدار السودانية للكتب، 2007م)، ص214.

[4] انظر: حسين حاج حسن، **أدب العرب في صدر الإسلام** (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1995م)، ص150.

[5] انظر: حسين حاج حسن، **أدب العرب في صدر الإسلام**، ص150

[6] انظر: عباس علي الفحام، المقدمة الطللية في شعر حسّان بن ثابت بين الجاهلية والإسلام، بحث منشور، **جامعة الكوفة**، كلية التربية، ص171.

[7] انظر: جمعة حسين يوسف، (**هيكلية القصيدة عند الأمراء العباسيين والأندلسيين: (دراسة موازنة) أبي فراس الحمداني والمعتمد بن عباد أنموذجا**)، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، 2018م، م(2)، ع(2)، ص 174.

[8] انظر: الديوان، ص17، 62، 74، وغيرها.

[9] انظر: عبد الرحمن البرقوقي، **شرح ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري** (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، 1990م)، ص382-383.

[10] انظر: محمود عكاشة، **الشعر في عصر النبوة** (القاهرة: الاكاديمية الحديثة للنشر، ط1، 2006م)، ص218.

[11] انظر: إبتسام الصفار، **الأمالي في الأدب الإسلامي** (عمان: دار المناهج، د.ط، د.ت)، ص98.

[12] انظر: إبتسام الصفار، المصدر السابق.

[13] عباس علي الفحام, **المقدمة الطللية في شعر حسّان بن ثابت بين الجاهلية والإسلام**: ص171.

[14] انظر: **المقدمة الطللية في شعر حسّان بن ثابت بين الجاهلية والإسلام**، ص172.

[15] انظر: غازي طليمات، وعرفان الأشقر، **الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة** (دمشق: دار الفكر، ط1، 1428هـ-2007م)، ص50.

[16] انظر: الديوان، ج1، ص82، وشرح البرقوقي، 69.

[17] الصفار، إبتسام، **الأمالي في الأدب الإسلامي**، ص98.

[18] إبتسام الصفار، المصدر السابق.

[19] عباس علي الفحام، **المقدمة الطللية في شعر حسّان بن ثابت بين الجاهلية والإسلام**، ص170.

[20] انظر: ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، ج1، 238، ص335.

[21] انظر: حسين حاج حسن، **أدب العرب في صدر الإسلام**، ص146.

[22] يحي الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1408هـ-1988م)، ص64.

[23] أبو الفرج الاصبهاني، **الأغاني**، ج4، ص136.

[24] أنظر: حسن بشير صديق، **الأدب العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي**، ص213-215.

[25] نصر الدين إبراهيم أحمد حسين. **الأدب الإسلامي الإطار والمنهج** (كوالالمبور: الجامعة الإسلامية_ ماليزيا، ط1، 2005)، ص152.

[26] يحي الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص63.

[27] عبد الله التطاوي، **القصيدة العربية بين الجاهلية وصدر الإسلام** (القاهرة: دار الوفاء للنشر، د.ط، 1984م)، ص305.

[28] انظر: طليمات، الأشقر. **الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة**، ص23.

[29] انظر: مُحَمَّد أحمد بن طباطبا العلوي. **عيار الشعر**، تحقيق: عباس عبد الساتر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2005م)، ص18.

[30] انظر: يحي الجبوري. **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص357.

[31] انظر: طليمات، الأشقر. **الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة**، ص26.

[32] انظر: طليمات، الأشقر. المصدر السابق.

[33] الديوان، ج1، ص306.

[34] انظر: إحسّان النص. **حسّان بن ثابت حياته وشعره**، ص239.

[35] الديوان، ج1، ص 102.

[36] بلاشير. **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: إبراهيم الكيلاني (دمشق: دار الفكر، د.ط، 1998م)، ص347.

[37] انظر: يحيى الجبوري. **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص356.

[38] شوقي ضيف. **تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي** (مصر: دار المعارف، ط7، د.ت)، ص50.

[39] انظر: طليمات، الأشقر. **الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة**، ص30.

[40] الديوان، ج1، ص137.

[41] الديوان، ج1، ص137.

[42] الديوان، ج1، ص165.

[43] قال صاحب اللسان: " وَبَنُو مَعيص: بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ"، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج7، ص93.

[44] انظر: عبد الرحمن البرقوقي، **شرح ديوان حسّان**، ص319.

[45] انظر يحيى الجبوري. **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص354.

[46] انظر: طليمات، الأشقر. **الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة**، ص24.

[47] الديوان، ج1، ص58.

[48] خلدون كناني، **حسّان بن ثابت** (دمشق: مكتبة العرفة، د.ط، 1943م)، ص7.

[49] الديوان، ج1، ص89.

[50] انظر: إحسّان النص. **حسّان بن ثابت حياته وشعره**، ص222.

[51] انظر: عذراء عودة حسين. الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، بحث منشور، **مجلة الأستاذ**، العدد208، المجلد الأول، ص149.

[52] انظر: طليمات، الأشقر. **الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة**، ص35.

[53] الديوان، ج1، ص269.

[54] الديوان، ج1 ص311.

[55] الديوان، ج1 ص213.

[56] ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، ج2، ص295.

[57] انظر يحيى الجبوري. **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص355.

[58] انظر: طاهر عبد المنعم علي. **التصوير البياني عند شعراء الرسول**. (مصر: رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، د.ت)، ص86، وما بعدها.

[59] الديوان، ج1، ص18.

[60] الديوان، ج1، ص284.

[61] انظر: طاهر عبد المنعم علي، **التصوير البياني عند شعراء الرسول**، ص138.

[62] الديوان، ج1، ص17.

[63] الديوان، ج1، ص40.

[64] الديوان، ج1، ص82.

[65] الديوان، ج1، ص414.

[66] انظر: الأصبهاني، **الأغاني**، ج4، ص136.

[67] ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ص270.

[68] عبد الملك بن قريب الأصمعي، **فحولة الشعراء**، تحقيق: ش. توري (بيروت: دار الكتاب الجديد، ط2، 1980م)، ص11.

[69] الأصمعي, المصدر السابق، ص9، والحقاق: جمع حق، والحق من الإبل من استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة، انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج10، ص54.

[70] أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. **الشعر والشعراء** (القاهرة: دار المعارف، ط2، د.ت)، ج1، ص305.

[71] انظر: صلاح الدين الهادي. **الأدب في عصر النبوة والراشدين** (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1987م)، ص249.

[72] انظر: عبد الرحمن البرقوقي، **الأدب العربي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام**، ص28.

[73] كارل بروكلمان. **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: عبد الحليم النجار (دار المعارف، ط4، د.ت)، ج1، ص153.

[74] الديوان، ص109.

[75] انظر: عبد الملك ابن هشام. **السيرة النبوية**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (دار الكتاب العربي، د.ط، 1990م)، ج4، ص209، 210.

[76] انظر: حسن بشير صديق، **الأدب العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي**، ص2145.

[77] إبتسام الصفار. **الأمالي في الأدب الإسلامي**، ص 89.

[78] ابن عبد البر. **الدرر في أخبار المغازي والسير**، ص246.

[79] انظر: مُحَمَّد مصطفى هدارة، **الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي** (دار النهضة العربية، د.ط، 1995م)، ص149.

[80] إحسّان عباس. **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** (بيروت: دار الثقافة، ط2، 1987م)، ص81،82.

[81] انظر: شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي**، ص79،80.

[82] انظر: بلاشير، **تاريخ الأدب العربي**، ص316.

[83] انظر: ولي الدين عبد الرحمن بن مُحَمَّد ابن خلدون. **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: عبد الله مُحَمَّد الدرويش (دمشق: دار البلخي، ط1، 2004م)، ج2، ص408.

[84] شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. **تهذيب التهذيب** (الهند: مجلس دائرة المعارف النظامية، ط1، 1325ه)، ج2، ص247.

[85] يوسف عيسى. **حسّان بن ثابت حياته وشعره** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1990م)، ص4.

[86] ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ص270.

[87] انظر: يحيى الجبوري، **شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه**، ص64.

## List of sources and references


Abn Abdulbar, Yusuf (1966). Aldurr fe Akbar Almagaze wa Alseyar(T11). (Tahkek): Shaoke Dhaef

Abn Mandhor, Mohammad bn Mkram bn Mandhor Alefreke. (1414h). Lesan AlArab.(T3).Bayrot: Dar Sader

Abn Hesham, AbdulMalk.(1990m).Alsera Alnabaweya (D.T). (Tahkek): Omer AbdulSalam Tadmre. Bayrot: Dar Alketab Alarabe.

Abo Yusuf, Taher Abdullmonem, Ali,(D.T) Altaswer Albayane enda Shoara Alrasol. Mesr: Resalat Master Ger manshorh. Jameat Alazher.

Alagane, Abo alfaraj Ali bn Alhuseen. (1976m). Alagane (D.T). Alqahera: Moassat almasreya lltebaa o alnasher.

Alansare, Hasan bn Thabet. (D.T). Aldewan. (D.T). (Tahqeq): Waled Arafat. Pakstan: Almaktaba Alelmeet.

Albarqoqe, Abdullrahman. (1990m). Sharh Dewan Hasan bn Thabet Alansare (D.T). Bayrot: Dar Alketab Alarabe.

Brokelman, Karll. (D.T). Tareq Aladb Alarabe. (D.T). Tarjamat: Abdullhalem Alnajar. Mesr: Dar Almaaref.

Blasher. (1998). Tareq Aladb Alarabe. (D.T). Tarjamat: Ibrahem Algaelane, Demashq: Dar Alfekr.

Aljebore, Eahya. (1988m-1408h). Shear Almokadhramen wa athar Al Islam Feh. (T3). Bayrot. Moassast Alresalt.

Haj Hasan, Huseen. (1995m). Adab Alarab Fe Sadr AlIslam (D.T). Bayrot.Al moassast Aljameae.

Huseen, Athra Aodat. Alretha fe Alsher Aljahle wa Sadr Al Islam, Baheth Manshor, Majalat Alostath, Aladad208, Almojalad alaowal.

Sdeq, Hasan Basher. (2007m). Al Adab Alarabe fe Sader Al Islam wa Alaser Alamawe (T1). Alqrtom: Aldar alsodaneea llkotb.

Alsafar, Ebtesam. (2006m). AlAmale fe Aladab Al Islam, (D.T), Oman: Dar Al manahj.

Tolaemat,Gaze. wa Alashqar Erfan (2007m-1428h) Alshoara fe Aser Alnbowa wa Alqelafa Alrasheda (T1). Demashaq: Dar Alfekr.

Okasha, Mahmood. (2006m). Alsher fe Aser Alnbowa (T1). Alqahera: Alakademeya Alhadetha llnasher.

Alalawi, Mohammed Ahmed bin Tabataba. (2005 m). Aeyar Alshear (T1). (Tahqeq): Abbas Abdel-Sater wa Naem Zarzour, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya

Al-Faham, Ali Abbas. Almoqadema Al Talaleya fe Sher Hasan bin thabet baen Al Jaheliya wa Al Islam. Bahth manshor, Jameat Al Kofa, Koleat Al Tarbeya

Alnas, Ihsan . (1985 m). Hassan bin Thabit, Hayatoh wa Shearah (T3). Demashq: Dar Al-Fikr for lltebaa wa Altaoz wa Alnasher.

Alhadi, Saladin. (1987 m). Aladb fe Aser Alnbowa wa Alrashden (T 3). Alqahera: Maktabat Al-Khanji.

Maeyada Mohammad Abdul Latef, (Shear Al Aqtal baen Al qabale wa Al entema Majalat Jameat Tkret le Alolom Alensaneya 2016, M(23), A(10)

Jomah Huseen Yusuf, (Haekaleyat Alqaseeda Enda Al omara Al Abaseen wa Al Andaloseen (derasa mowazana) Abe Feras Al Hamadane wa Al Moatamad bn Abad Anmothajan, Majalat Jameat Tkret le Al olom Alensaneya 2018, M(2), A(20).